شرح الرسالة القيروانية 15

بوعلام محمد بجاوي

ويبني عليها:

توحيد الله في عبادته؛ لأنه ليس يستحق العبادة إلا الرب

قال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ **[العنكبوت: 61 – 63]**

وقال ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ **[لقمان: 25]**

وقال ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ **[الزمر: 38]**

وقال ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ **[الزخرف: 87]**

ترك الظلم؛ لأنه لا يليق بالرب أن يظلم الناسُ بعضهم بعضا ثم لا يكون يوما يقتص فيه من الظالم للمظلوم:

وفي هذا يقول تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ **[المؤمنون: 115 – 116]**

وإعادة الخلق أهون من ابتدائه، والله بعد ذكر خلق الإنسان وأطواره يذكر البعث

قال بعد آية "**المؤمنون**[1]" ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ **[المؤمنون: 15 – 16]**

وقال بعد آية "**السجدة**[2]" ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ **[السجدة: 10 – 11]**

وقال بعد آية "**يس**[3]" ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ **[يس: 77 – 79]**

البخاري (4974) حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال الله: **كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفأ أحد**

ولكن الحجة قائمة على الناس بالرسل، فمن لم تبلغه الرسالة لا يحتج عليه بعدم الاهتداء بالتفكر في خلق الله، لهذا عطف ابن أبي زيد بقوله "**وأعذر إليه على ألسنة المرسلين الخيرة من خلقه**" **فرغم شهادة المخلوق على الخالق، لكن إنما ينقطع العذر ببلوغ الرسالة** قال تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ **[الإسراء: 15]**

---

[1] سبق ذكرها

[2] سبق ذكرها

[3] سبق ذكرها

وبنى المتكلمون المسألة على هل العقل يحسن ويقبح؟ ورأى بعضهم أنه لا يتمّ هذا إلا بالقول بعدم التحسين والتقبيح العقليين

قال **أبو الحسن علي بن محمد (ت: 739)**: وفي قوله على ألسنة المرسلين تنبيه على فساد قول المعتزلة أن العقل يحسن ويقبح.**اهـ**[4]

كما لم يحتج الله على عباده بالفطرة التي فطرهم عليها وهي الإسلام عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء. [خ/ 1358، 1359، 1385، 4775، 6599. م/ 22 – (2658)]**

كما لم يحتج عليهم بشاهدتهم على أنفسهم قبل أن يخلقهم قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ **[الأعراف: 172 – 173]**

وتروى في هذا المعنى أحاديث عند أحمد وأصحاب السنن[5]

قال **أبو حفص عمر بن علي الفاكهاني (ت: 734)**: الإعذار في طلب المعذرة، ومنه الإعذار في الحكم، قالوا قد أعذر من أنذر، أي بالغ في المعذرة من تقدم إليك بإنذار.**اهـ**[6]

قال **ابن ناجي قاسم بن عيسى التنوخي القروي (ت: 837)**: وفي كلام الشيخ حذف لا بد من تقديره كأنه قال ونبهه بآثار صنعته على وجوده سبحانه وتعالى ووحدانيته وغير ذلك من صفاته.**اهـ**[7]

---

[4] كفاية الطالب الرباني 1 / 22 شرح ابن ناجي 1 / 9 تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة 1 / 66

[5] معارج القبول بشرح سلّم الوصول 1 / 85 – 89

[6] التحرير والتحبير 1 / 120

[7] شرح الرسالة 1 / 8